ليالي الزقازيــق

[قضى الشاعـر بالزقازيـق، في معهـدها الدِّيني، من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٦، وفي هذه القصيـدة يصور الشـاعر ذكرياته، ويودع معهده وموطن صباه].

ربـوعٌ قد صحبتُ بهـا الشبـابَـا ... وعشتُ بَـواكـرَ العُمْـرِ اغتـرابَـا
وَرَدْتُ حيـاضَ معهـدهـا صبيّاً ... يـدقُّ بـكـفِّـه لـلنـورِ بـابـا
بـه نـزلـوا المـدينـةَ ذاتَ يـومٍ ... فـأبصـر في شـوارِعِهـا العُجـابـا
تـنـازَعَتِ الـمشـاهـدُ مُـقْتَنِيْـهِ ... فقلَّبَ طَـرَفـه فيهـا اقتضـابـا
وعـادوا بعـد أن تـركـوه يبكي ... حـزينـاً لا يـود لهـم إيـابـا

* . * . * . *

وظـلّ هنـاك يغلبـه حنـينٌ ... وشـوق يؤلم الـقلبَ انـتيـابـا
فمـا شغَلَتْـهُ أضـواءُ الليـالي ... بهـا عن قـريـةٍ خصبتْ جنـابـا
بعيـدٌ عـن ديـار الأهـل نـاءٍ ... يـذوب ليـوم عـودتـه ارتقـابـا
يـؤرّق جـفـنَـه ذكـرى لـداتٍ ... إليهم شـاء في البعـد الـذهـابـا
وسـار بـه الـزمـان يـطيب حيناً ... وحينـاً يمـلأ الأقـداح صـابـا
إلى أن صـار يعـشقـهـا فتيّـاً ... ولـذَّ لـه المقـام بهـا وطـابـا
رعـاهـا الله أيـامـا قضـاهـا ... بصحبـة رائدٍ[1] يهـدي الصوابـا

(١) الأستاذ مصطفى الرفاعي الأخ الأكبر للشاعر. كان أول طالب أزهري من أنشاص، ثم توالى بعده الطلبة على معهد الزقازيق، وأقاموا معه في مسكن واحد، فكان كبيرهم ورائدهم، وكان يأخذهم بكثير من الجد والحزم.

وإنّ العيش يحلو في رفاق ... إذا خافوا لراعيهم حسابا
فلا يخشاهُ في شيء بريءٌ ... ولا يألوا أَخَا ذنبٍ عقابا
فتلك عهود غرسٍ قد تقضّت ... وما عرفوا بها إلا الكتابا

* . * . * . *

ومجلسُ فتيةٍ جُمعوا بليلٍ ... فدار حديثُهم شهداً مذابا
دعابةُ مازحٍ، وضجيجُ لاهٍ ... وصوتُ مهرّج يشدو غرابا
وكم كانت أحاديث الأماني ... تلذّ لهم - على ظمأٍ - شرابا
وكم أملٍ جميل أمّلوه ... فما وجدوا المنى إلا سرابا
وما فتىء الزمان يدور حتى ... أعاد بشاشةَ الوجه اكتئابا
تفرق شملهم بعد اجتماع ... وعامرُ أنسهم أضحى خرابا

* . * . * . *

وساعات الأصيل على مُوَيْسٍ[1] ... وقد جمع الأحبةَ والصحابا
يدغدغ صفحةً للماء فيه ... جناحا زورقٍ شقَّ العبابا
ويختالُ النسيم بشاطئيهِ ... نديّاً ينعشُ النفس انسيابا
إذا ما أقبلت تمشي كعابٌ ... يداعبُ فوق ضفته الكعابا
فَطَوْراً قد أثار الشَّعْرَ لثماً ... وطوراً أرهق الثوب اجتذابا

* . * . * . *

ورُبَّ لظىً لأيام امتحانٍ ... لبسنا للشقاء بها ثيابا
تريك جلودَنا، والصيف وارٍ[2] ... يكاد الحَرُ ينضحها التهابا
تمر بنا الليالي حاملاتٍ ... لهولٍ إن رآهُ الطفلُ شابا
ولا ننسى لنا في اللهو قسطاً ... وغُلٌّ[3] نضالنا يدمي الرقابا

---

(١) مويس : بحر مويس، ترعة بالزقازيق.
(٢) وار : انطلقت ناره.
(٣) الغل طوق من الحديد أو الجلد يجعل في اليد أو العنق.

فكنتُ أصوغه شعراً ضحوكاً نبدد للغناء به ضبابا
عهود من جحيم غير أنّا نذوق إذا قطعناها الرضابا
وبعد السير في بِيد الليالي أشقُّ السهل منها والهضابا
وقفتُ مودّعاً طيب المغاني وداراً تنبت العلم اللبابا
سأذكر ما حييتُ بها هناء وأُطَّرِحُ المتاعب والصعابا
فسقيًا للعهود البيض ... مرت علينا - رغم ما نَلْقَى - عِذابا

* . * . * . *